السجن

سكنا ولم يسكن حراك التبدد مواطن فيها اليوم ايس من غد
عفا رسم معنى العز منها كما عفت «خولة اطلال ببرقة ثهمد»
بلاد اناخ الذل فيها بكلكل على كل مقتول السبالين اصيد
معاهد عنها ضل سابق عزها فهل هو من بعد الضلالة مهتد
احاطت بها الارزاء من كل جانب الى ان محتها معبداً بعد معبد
وحلق في آفاقها الجور بازياً مطلاً عليها صائناً بالتهدد
وينقض احياناً عليها فنارةً يروح وفي بعض الاحايين يغتدي
فيخطف اشلاءً من القوم حيةً ولم يقد المقتول منها ولم يدِ
ويرمي بها في قعر اظلم موحش به اين تسقط جذوة الروح تخمد
هو السجن ما ادراك ما السجن انه جلاد البلايا في مضيق التجلد
بناءٌ محيط بالتعاسة والشقا اظلم بريء او عقوبة معتدي

***

زُر السجن في بغداد زورة راحم لتشهد للانكاد افجع مشهد
محل به تهفو القلوب من الاسى فان زرته فاربط على القلب باليد
مربّع سورٍ قد احاط بشمله محيطٍ باعلى منه شيد بقرمد
وقد وصلوا ما بين ثانٍ وثالث بعقود سقف بالصخور مشيد
وفي ثالث الاسوار تشجيك ساحة تمور بتيار من الخسف مزبد
ومن وسط السور الشمالي تنتهي اليها بمسدود الاتاجين موصد
هي الساحة النكراء فيها تلاعبت مخاريق ضيم تخلط الجدّ بالدّدِ
ثلاثون متراً في جدارٍ يحيطها بسمك زهاء العشر في الجوّ مصعد
تواصلت الاحزان في جنباتها بحيث متى يبل الاسى يتجدد
تصعد من جوف المراحيض فوقها بخار اذا تمرر به الريح تفسد
هناك يود المرء لو قاء نفسه واطلقها من اسر عيش منكد
فقف وسطها وانظر حواليك دائراً الى حجرٍ قامت على كل مقعد
مقابر بالاحياء غصت لحودها بخمس مئين انفس او بازيد
وقد عميت منها النوافذ والكوى فلم تكتحل من ضوء شمس بمرود
تظن اذا صدر النهار دخانها كأنك في قطع من الليل اسود

فلو كان للعباد فيها اقامة لصلوا بها ظهرًا صلاة التهجد
يزور هبوب الريح الا فناءها فلم تحظ من وصل النسيم بموعد
تضيق بها الانفاس حتى كأنما على كل حيزوم صفائح جلمد
وحتى كأن القوم شدت رقابهم بحبل اختناق محكم الفتل معصد

***

بها كل مخطوم الخشام مذلل متى قيد مجرورًا الى الضيم ينقد
يبيت بها والهم ملء اهابه بليلة متبول الحشا غير مقصد
يميت بكذوب العزاء نهاره ويحيي الليالي غير نوم مشرّد
ينوء باعباء الهوان مقيدًا ويكفيه ان لو كان غير مقيد
وتقذفهم تلك القبور بضغطها عليهم لحر الساحة المتوقد
فيرفع بعض من حصير ظلالة ويجلس فيها جلسة المتعبد
وليست تقيه الحر الا نعلة لنفس خلت من صبرها المتبدد
وبالثوب بعض يستظل وبعضهم بنسج لعاب الشمس في القيظ يرتدي
فمن كان منهم بالحصير مظللا يعدّونه رب الطراف الممدّد
تراهم نهار الصيف سُفعًا كأنهم اثافيّ اصلاها الطهاة بموقد
وجوه عليها للشحوب ملامح (تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد)
وقد عمهم قيد التعاسة موثقًا فلم يتميز مطلق عن مقيد
فسيدهم في عيشه مثل خادم وخادمهم في ذله مثل سيد
يخوضون في مستنقع من روائح خبائث معها يزدد الحر تزدد
تدور رؤوس القوم من شم نتنها فمن بك منهم عادم الشم يحسد
تراهم سكارى في العذاب وماهم سكارى ولكن من عذاب مشدد
وتحسبهم دودًا يعيش بجأة وما هو من دود بها متولد

***

الا رب حر شاهد الحكم جائرًا يقود بنا قود الذلول المعبد
فقال ولم يجبر ونحن بمنتدى به غير مأمون الوشاية يندي
على اي حكم ام لاية حكمة ببغداد ضاع الحق من غير منشد
فادنيت للنجوى فمي نحو سمعه وقلت لان العدل لم يتبغدد
رعى الله حيًا مستباحًا كأنه من الذعر اسراب النعام المطرّد

وما صاحب البيت الحقير بناؤه ... بافزع من رب البلاط المهدد
وما ذاك الاّ انهم قد تخاذلوا ... ولم ينهضوا للخصم نهضة مُلبد
فناموا عن الجلى ونمت كنومهم ... سوى نوحة مني بشعر مغرّد
وهل انا الا من اولئك ان مشوا ... مشيت وان يقعد اولئك اقعد
وكم رمت ايقاظاً فاعيا هبوبهم ... وكيف وعزم القوم شارد مُرقد
نهوضاً نهوضاً ايها القوم للعلى ... لِتبنوا لكم بنيان مجد موطد
تقدّمنا قوم فابعد شوطهم ... وقد كان عنا شوطهم غير مبعد
وسدّ علينا الاعتساف طريقنا ... فاجحف بالغوريّ والمنجّد
افي كل يوم يزحف الدهر نحونا ... بجند من الخطب الجليل مجند
فيارب نفس من كروب عظيمة ... ويارب خفف من عذاب مشدد

بغداد — معروف الرصافي

كتاب الاشربة

لابن قتيبة

عني بنشره المسيو ارتوركي

احد علماء المشرقيات

وانما معنى قوله تعالى : « انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس » (١) اي معصية والكفر والنفاق والمعاصي رجس يدلك على ذلك ان الازلام هي القداح فاي نتن لها ؟ وهذا مثل قوله : « واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً الى رجسهم » (٢) اي نفاقاً الى نفاقهم ومثله : « ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون » (٣) وكيف يكون رجساً اي نتناً وهي في الجنة ؟ قال الله تعالى : « وانهار من خمر لذة للشاربين » (٤) فوصفها باللذاذة ولم يصف بذلك غيرها مما ذكر معها . وقال : « يسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلا » (٥) ولم يرد فيما يرى اهل النظر ان الزنجبيل باق فيها وانما ارادوا انها تلذع اللسان

---

(١) من المائدة آية ٩٢ (٢) براءة آية ١٢٦ (٣) يونس آية ١٠٠ (٤) الصافات آية ٤٥ (٥) الانسان آية ١٧